فصل من رواية

وقف التنفيذ

بقلم جان بول سارتر

يصدر هذا الشهر الجزء الثاني من رواية « دروب الحرية » بعنوان « وقف التنفيذ » بقلم الكاتب العالمي جان بول سارتر وترجمة الدكتور سهيل ادريس . وقد اتبع المؤلف في هذا الجزء تكنيكا روائيا خاصا يقوم في اساسه على اسلوب « المواقتة » اذ يعالج موضوعه في ضمائر ابطاله في وقت واحد معا ، ومن زوايا مختلفة ، فيقدم للقارىء قطاعا عاما من الحياة يمتاز بأنه يعطي صورة شاملة عن الفترة الزمنية التي يصفها ، عبر نفسيات مختلفة شديدة الغنى . وسوف يعود جميع ابطال الجزء الاول « سن الرشد » في هذا الجزء الثاني وهم يواجهون فترة عصيبة من تاريخ الانسانية في ايلول ١٩٣٩ ، هي فترة الاسبوع الذي سبق قيام الحرب العالمية الثانية ، في اطار من الهموم البشرية العاطفية والفكرية والسياسية ، حتى لقد قيل : ان هذا الجزء « وقف التنفيذ » يغني عن كل وثيقة في تصوير النفسية البشرية العامة في تلك اللحظات الحاسمة من تاريخ الانسانية .

وقد رأينا ان نقدم لقراء « الآداب » فيما يلي نموذجا من احد فصول الكتاب يمثل هذا التكنيك الروائي البارع الذي اتبعه مؤلف « دروب الحرية » :

نظر دالاديبه الى شمبرلن ، ونظر الى هاليفاكس ، ثم صرف عينيه لينظر الى ساعة مذهبة موضوعة على منضدة بهو ، وكان العقربان يشيران الى العاشرة وخمس وثلاثين ، وتوقفت السيارة امام الكابان كوبين ، وانقلب جورج على ظهره وانّ قليلا ، وكان شخير جاره يمنعه من النوم .

قال دالاديبه : ـ لا يسعني الا ان اكرر ما سبق ان صرحت به : لقد اخذت الحكومة الفرنسية التزامات تجاه تشيكوسلوفاكيا . فاذا ظلت حكومة براغ على رفضها للعروض الالمانية ، واذا اصبحت ، بنتيجة هذا الرفض ، ضحية هجوم ، فان الحكومة الفرنسية ستجد نفسها مضطرة الى القيام بالتزاماتها .

وسعل ، ونظر الى شمبرلن ، وانتظر .

قال شمبرلن : نعم . نعم . طبعا .

وبدا مستعدا لاضافة بضع كلمات ، ولكن الكلمات لم تات . وكان دالاديبه ينتظر وهو يخط بطرف قدمه دوائر على السجادة . وانتهى به الامر الى ان يرفع راسه ويسأل بصوت متعب :

ـ ما عساه يكون موقف الحكومة البريطانية في هذه الحالة ؟

نهضت فرانس ومود ودوسيت وروبي ، والقين التحية . وحدث في الصفوف الاولى تصفيق مائع ، ثم انسرب الجمع وسط ضجة كبيرة للكراسي . وبحثت مود بنظرها عن بيار ، ولكنه كان قد اختفى . والتفتت فرانس نحوها ، وكان خداها ملتهبين ، فيما كانت تبتسم .

وقالت : كانت امسية ناجحة . امسية ناجحة حقا .

كانت الحرب هنا ، على الحلبة البيضاء ، كانت الاشراق الميت لضوء القمر الاصطناعي ، والحموضة المزيفة للبوق المسدود ، وهذا البرد على الخوان ، في رائحة الخمر الاحمر ، وهذه الشيخوخة الخفية في ملامح غوميز . الحرب ، الموت ، الهزيمة . كان دالاديبه ينظر الى شمبرلن ، وكان يقرأ الحرب في عينيه ، وكان هاليفاكس ينظر الى بونيه ، وكان بونيه ينظر الى دالاديبه ، كانوا صامتين ، وكان ماتيو ينظر الى الحرب في صحنه ، وفي مرقة الشريحة السوداء المعظمة .

ـ واذا خسرنا نحن ايضا الحرب ؟

قال غوميز في خفة : ـ ستصبح اوروبا فاشية اذن . وليس هذا اعدادا رديئا للشيوعية .

ـ وما يكون مصيرك يا غوميز ؟

ـ اعتقد ان انصارهم سيقتلونني في كوخ ، او انني اهرب الى اميركا . فماذا في ذلك ؟ اكون قد عشت .

ونظر ماتيو الى غوميز في فضول ، وساله :

ـ ولن تتحسر على شيء ؟

ـ اطلاقا .

ـ حتى ولا على الرسم ؟

ـ حتى ولا على الرسم .

وهز ماتيو راسه في حزن . كان يحب لوحات غوميز ، وقال:

ـ كنت ترسم لوحات جميلة .

ـ لن استطيع بعد ابدا ان ارسم .

ـ لماذا ؟

ـ لا ادري . القضية جسمية ، لقد فقدت الصبر ، وسيبدو لي ذلك مضجرا .

ـ ولكن الحرب تقتضي الصبر ايضا .

ـ ليس هو الصبر نفسه .

وصمتا . واتى الخادم باقراص المعجنات على آنية من قصدير ، فرشها بالروم والخمر ثم ادنى من الانية عودا مشتعلا . وتارجح طيف من لهب ذات لحظة في الهواء .

وقال ماتيو فجاة : ـ غوميز ! انك ، انت ، قوي ، وانت تعرف لماذا تقاتل .

ـ اتعني انك لن تعرف ذلك انت ؟

ـ بلى . اعتقد اني ساعرفه . ولكني لم اكن اقصد نفسي . ان هناك اشخاصا لا يملكون الا حياتهم يا غوميز . وليس ثمة من يفعل شيئا من اجلهم . ليس هناك اي شخص ، ولا اية حكومة ، ولا اي نظام . فاذا حلت الفاشية هنا محل الجمهورية فلن يلاحظوا ذلك . خذ راعيا من منطقة « سيفين » اتعتقد انه سيعرف لماذا هو يقاتل ؟

قال غوميز : ـ ان الرعاة عندنا هم اشد المقاتلين حماسة .

ـ لماذا يقاتلون ؟

ـ هذا يتوقف . لقد عرفت منهم من يقاتل ليتعلم القراءة .

قال ماتيو : ـ اما في فرنسا ، فالجميع يعرفون القراءة . فاذا القيت في فرقتي راعيا من « سيفين » ورايته يموت الى جانبي ليحافظ على جمهوريتي وعلى حرياتي ، فاقسم لك باني لن اكون فخورا . اوه ! يا

غوميز ، الا تشعر احيانا بالخجل جميع هؤلاء الذين ماتوا في سبيلك ؟

قال غوميز : ـ ان هذا لا يزعجني . فانا اعرض حياتي مثلهم .

ـ ان الجنرالية يموتون في سررهم .

ـ لم اكن دائما جنرالا .

قال ماتيو : ـ مهما يكن من امر ، فليست القضية متشابهة .

وقال غوميز : ـ انني لا ارثي لهم . ولا تاخذني عليهم الشفقة .

ومد يده فوق الخوان وقبض على معصم ماتيو ، وقال بصوت منخفض بطيء :

ـ ان الحرب شيء جميل يا ماتيو .

وكان وجهه مشتعل . وحاول ماتيو ان يتخلص ، ولكن غوميز شد ذراعه بقوة واضاف :

ـ احب الحرب .

ـ ولم يكن ثمة بعد ما يقال . وضحك ماتيو ضحكة قصيرة منزعجة فترك غوميز يده . وقال ماتيو :

ـ لقد تركت تاثيرا قويا على جارتنا .

والقى غوميز نظرة الى يساره ، من بين جفونه الجميلة . وقال:

ـ اجل . يجب ضرب الحديد حاميا . اتكون هذه الحلبة للرقص؟

ـ طبعا .

ونهض غوميز وهو يزرر سترته . وتوجه الى الممثلة ، فرآه ماتيو ينحني فوقها . وارتدت براسها الى الخلف ، ونظرت في ضحكة مدروسة ، ثم ابتعدا واخذا يرقصان . كانا يرقصان ، ولم تكن تشبه الزنجيات قط ، ولا بد انها كانت من المارتينيك . كان فيليب يفكر : « مارتينيكية » وكانت كلمة « مالدبارية » هي التي طفرت على شفتيه .

وتمتم : ـ يا مالاباريتي الجميلة .

فاجابت:

ـ انك ترقص جيدا .

وكان في صوتها موسيقى ناي صغيرة ، ولم يكن ذلك يخلو من عذوبة . وقال :

ـ انك تتكلمين الفرنسية جيدا .

فنظرت اليه في غضب :

ـ لقد ولدت في فرنسا .

قال : لا باس . انت مع ذلك تتكلمين الفرنسية جيدا .

وفكر : « انني سكران ثم ضحك . وقالت له ، بلا غضب :

ـ انك سكران تماما .

قال : ـ نعم

ولم يكن يشعر بعد بتعبه ، كان مستعدا للرقص حتى الصباح ، ولكنه كان قد قرر ان ينام مع الزنجية ، وكان ذلك ارصن . ان ما هو ممتع حقا في السكر ، هو هذه القدرة التي كان يمنحها على الاشياء. فانت لست بحاجة الى لمسها : نظرة واحدة ، فاذا انت تمتلكها ، كان يملك ذلك الجبين ، وذلك الشعر الاسود ، وكان يداعب عينيه على هذا الوجه الاملس . اما ابعد من ذلك ، فقد كانت الرؤية مائعة ، كان ثمة ذلك السيد الضخم الذي كان يشرب الشمبانيا ، واشخاص اخرون يميل بعضهم على بعض فلا يميزهم جيدا . وكان الرقص قد انتهى ، فعادا الى الجلوس . وقالت :

قال فيليب : ـ بل انا بكر .

ـ كذاب !

ورفع يده :

ـ اقسم لك اني بكر . اقسم براس امي !

قالت خائبة : ـ آه ؟ هذا يعني ان النساء لا يثرن اهتمامك .

قال : ـ لا ادري . يجب ان نجرب .

ونظر اليها ، فامتلكها بعينيه ، وكز وجهه وقال :

ـ انني اعتمد عليك .

فنفثت دخان سيجارتها في وجهه :

ـ سترين ما اعرف ان اعمله .

وامسكها من شعرها فجذبها اليه ، وكانت تنبعث منها عن قرب بعض رائحة الشحم . وقبلها قبلة خفيفة في شفتيها . وقالت :

ـ بكر . سأربح الجائزة الكبرى .

قال : ـ تربحين ؟ ان الانسان يخسر دائما .

ولم يكن يشتهيها على الاطلاق . ولكنه كان مسرورا لانها كانت جميلة ولم تكن تخيفه . واستشعر الرضى التام وفكر : « انني احسن محادثة النساء » وتركها ، فانتصبت واقفة ، وسقط صندوق فيليب على الارض ، فقال :

ـ حذار ، انت سكرانه !

فلمت الصندوق :

ـ ماذا في داخله ؟

ـ هس ! لا تلمسيه : انها حقيبة دبلوماسية .

قالت وهي تقلد الاولاد : ـ اريد ان اعرف ما في داخله . يـا حبيبي ، قل لي ما في داخله .

واراد ان ينتزع منها الصندوق ، ولكنها كانت قد فتحته ، ورات المنامة وفرشاة الاسنان ، وحين اكتشفت الـ «رامبو» قالت :

ـ كتاب ؟ ما هذا ؟

قال : هذا ؟ انه شخص قد ذهب .

ـ الى اين ؟

قال : ماذا يهمك من ذلك ؟ لقد ذهب .

واستعاد الكتاب من يديها وارجعه الى الصندوق ، وقال في سخرية :

ـ انه شاعر . اتراك فهمت الان فهما افضل ؟

قالت : ـ طبعا . كان ينبغي ان تقول ذلك من البدء .

واغلق الصندوق ، وفكر : « لم اذهب » وسقط سكره . « لماذا؟ لماذا لم اذهب ؟ » وكان قد اصبح الان يميز جيدا السيد الضخم ، قبالته : لم يكن ضخما الى الحد الذي تخيله ، وكانت له عينان مخيفتان. وانفرطت العناقيد البشرية من تلقاء نفسها : كان ثمة نساء ، سوداوات

« دار الطليعة » تقدم :

اوغاريت

اجيال ـ اديان ـ ملاحم

للشيخ نسيب وهيبه الخازن

لغة الاجداد

ملاحم ونصوص من ٤٠٠٠ سنة

سبقت الهام التوراة

وشاعرية الالياذة

وحنان الانجيل

بلغة شقيقة للعربية

تقرأ بلغتها الاصلية

وبيضاوات ، ورجال ايضا . وخيل اليه انهم كانوا ينظرون اليه مليا « لماذا انا هنا ؟ كيف تراني قد دخت ؟ ولماذا لم اذهب ؟ » كان في ذكرياته ثقب : كان قد رمى الفلس في الهواء ، ونادى سيارة تاكسي وها هوذا الان : انه جالس الى هذه الطاولة ، امام قدح شمبانيا ، مع هذه الزنجية التي تنبعث منها رائحة صمغ السمك . كان ينظر الى هذا الفيليب الذي كان يقذف الفلس في الهواء ، وكان يحاول ان يسبر غوره ، ويفكر : « انا واحد اخر » كان يفكر : « انني لا اعرفني » وادار رأسه نحو الزنجية .

وسالته : ــ لماذا تنظر الي ؟

ــ هكذا .

ــ هل تجدني جميلة ؟

ــ بين بين .

فبلعت ريقها واشتعلت عيناها . ورفعت مؤخرتها بضعة بوصات فوق المقعد فيما ضغطت بيديها الخوان .

ــ ان كنت تجدني قبيحة ، فيمكنني ان اذهب : فلسنا متزوجين.

وبحث في جيوبه فاخرج ثلاث اوراق مدعوكة من فئة الالف فرنك، وقال :

ــ خذي . خذيها وابقي .

فاخذت الاوراق وفتحتها وملستها ثم جلست وهي تضحك . وقالت:

ــ انك صبي وسخ. صبي صغير وسخ.

وكانت قد انفقرت امامه هوة من الخجل : وما كان عليه الا ان يتداعى للسقوط فيها . انه مصنوع ، مضروب ، مطرود ، ولم يذهب . وكان ينحني فوق الثقب فياخذه الدوار . كان العار ينتظره في القعر، وما كان عليه الا ان يختار ان يشعر بالعار التعب ، العار ، الموت . اختيار الشعور بالعار . لماذا لم اذهب ؟ لماذا اخترت الا اذهب ؟ وخيل اليه انه كان يحمل العالم على كتفيه . وقالت له :

ــ لست اراك ثرثارا .

فوضع اصبعه تحت ذقنها :

ــ ما اسمك ؟

ــ فلوسي .

ــ ليس هو اسما مالباريا .

قالت في غيظ : ــ قلت لك اني ولدت في فرنسا .

ــ اسمعي يا فلوسي : لقد اعطيتك ثلاث اوراق ، افلا تريدين ان اتحدث اليك فوق ذلك ؟ فهزت كتفيها وادارت راسها . وكان الثقب الاسود ما يزال هناك ، وفي قعره العار . وكان ينظر اليه وينحني فوقه، ثم اذا به فجاة يفهم ، فيلوي القلق قلبه : ان هذا شرك ، فاذا وقعت فيه ، كففت عن احتمال نفسي . الى الابد . ونهض ، وفكر في قوة : « انما عدلت عن الذهب لاني كنت ثملا . » ثم انقلقت الهاوية : لقد اختار .. « انما عدلت عن الذهاب لاني كنت ثملا . » لقد لامس العار عن كثب ، ولقد شعر بخوف مفرط : اما الان فقد اختار الا يحس بالعار. الى الابد .

ــ تصوري انه كان علي ان استقل القطار . ولكني كنت ثملا جدا.

فقالت بلهجة طفولية : ــ ستستقله غدا .

فانتفض :

ــ لماذا تقولين لي ذلك ؟

فقالت مندهشة :

ــ ان من يفوت قطارا ، ياخذ التالي :

قال وهو يقطب حاجبيه :

ــ انني لن اذهب . فقد غيرت رأيي . أتعرفين ما هي العلامة؟

فرددت : ــ العلامة ؟

ــ ان العالم مليء بالعلامات . فكل شيء علامة . وينبغي ان نعرف فك الفازها . يكون عليك ان تذهبي ، فتمثلين ولا تذهبين بعد : لماذا.. لم تذهبي ؟ ذلك انه وجب عليك الا تذهبي . تلك علامة : ان عندك هنا عملا افضل تقومين به .

وهزت راسها وقالت :

ــ هذا صحيح . صحيح جدا ما تقوله .

عمل افضل . جمع الباستيل ، ينبغي القيام بالدليل امامه . في مكانه ينبغي ان امزق نفسي حيث انا . اورفيه . لتسقط الحرب ! من ذا الذي يستطيع ان يقول اني جبان ؟ ساريق دمي من اجلهم جميعا، من اجل موريس وزيزيت ، من اجل بيتو ، ومن اجل الجنرال ، ومن اجل جميع الناس الذين ستمزقني اظفارهم . والتفت الى الزنجية فنظر اليها بحنان : ليلة ، ليلة واحدة . ليلتي الغرامية الاولى . ليلتي الاخيرة .

انك جميلة يا فلوسي .

فبسمت له :

ــ تستطيع ان تكون لطيفا حين تشاء .

قال لها : ــ تعالي لنرقص . ساكون لطيفا حتى صياح الديك .

كانا يرقصان . كان ماتيو ينظر الى غوميز ، وكان يفكر : « ليلته الاخيرة » ثم يبتسم ، كانت الزنجية تحب الرقص ، وكانت تغمض عينيها نصف اغماضة ، وكان فيليب يرقص ، ويفكر : « ليلتي الاخيرة، ليلتي الغرامية الاولى . » ولم يكن يشعر بعد بالعار ، كان تعبا ، وكان الحر شديدا ، غدا ساريق دمي من اجل السلام . ولكن الفجر كان ما يزال بعيدا . كان يرقص ، وكان يستشعر الرضى والتبرير ، ووجد نفسه خياليا . انزلقت الاضواء على طول الجدار ، وكان القطار يتمهل، صرير ، هزات ، وتوقف ، ولطخ النور الحافلة ، فطرف شارل بعينيه وترك يد كاترين ، وصاحت الممرضة :

ــ التتمة على الصفحة ٧٥ ــ

أنت مدعو !
لحضور هذا الاجتماع الضخم !

احمد بن بيلا ـ فرحات عباس ـ كريم بلقاسم ـ كاسترو ـ جوموكينياتا ـ هوشي منه ـ جياب ـ وكل الثائرين في العالم ...
يتبادلون أخبار ثوراتهم ومعاركهم ... في الجزائر .. وكوبا .. وديان بيان فو .. والسويس .. وقبرص .. وكل جزء ثائر في هذه المعمورة ... وذلك في الحدث الأدبي الكبير ...

الثائرون

الكتاب الرائع الذي تكاد تلتهب صفحاته بأخبار الثورات والثائرين !

صدر حديثاً باخراج انيق وترجمة رائعة عن :

المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر

الثمن ٤٠٠ ق.ل
أطلبه من كافة المكتبات

وقف التنفيذ

ـ تتمة المنشور على الصفحة ٤ ـ

ـ لا روش ميجين . لقد وصلنا .

قال شارل : ـ لاروش ميجين ؟ لكننا لم نمر بباريس ؟

قالت كاترين : ـ لقد ضللونا .

وصاحت الممرضة : ـ اجمعوا حوائجكم . سوف ينزلونكم .

وكان بلانشار قد استيقظ منتفضا ، فقال :

ـ ماذا ، ماذا ؟ اين نحن ؟

فلم يجب احد ، واوضحت الممرضة :

ـ سنستقل القطار مرة اخرى غدا . سنقضي الليل هنا .

قالت كاترين وهي تضحك :

ـ ان عيني تؤلمانني . بسبب هذا النور .

فادار راسه نحوها ، وكانت تضحك وهي تحمي عينيها بيدها وكانت الممرضة تصرخ :

ـ اجمعوا حوائجكم ، اجمعوا حوائجكم .

وانحنت على رجل اصلع كانت جمجمته تلمع:

ـ هل انتهيت ؟

قال الرجل : ـ دقيقة ! يا للشيطان !

قالت : ـ عجل . سوف يصل الحمالون .

قال : هيا ، هيا ، تستطيعين ان تاخذيها ، لقد قطعت لي القابلية!

فنهضت ، وكانت تحمل الطست على مدى ذراعيها ، وتخطست اجساما فاتجهت نحو الباب .

قال شارل : ـ اننا هنا هادئون . ربما كانوا دزينة من الرجال، وهنا عشرون حافلة ينبغي افراغها . فحتى يصلوا الينا .. ,

ـ الا اذا بداوا بالذنب .

ووضع شارل معصمه امام عينيه :

ـ اين تراهم سيضعوننا ؟ في قاعات الانتظار ؟

ـ اتصور ذلك .

ـ يزعجني قليلا ان اترك هذه الحافلة . لقد اقمت فيها ركني . وانت ؟

فقال لها : ـ يكفيني انا ان اكون معك ...

وصاح بلانشار : ـ ها هم اولاء .

ودخل رجال الى الحافلة ، وكانوا سودا لانهم كانوا يولون النور ظهرهم ، وقد ارتسمت ظلالهم على الجدار ، فكانما يدخلون من الجهتين في وقت واحد . وساد الصمت ، فقالت كاترين بصوت منخفض :

ـ قلت لك انهم سيبدأون بنا .

فلم يجب شارل . ورأى رجلين ينحنيان فوق مريض فانقبض قلبه. كان جاك نائما ، وكان انفه يغني : ولم تكن تستطيع النوم ، انها لن تنام قبل ان يعود ، ورأى شارل امام قدميه تماما ظلا ضخما ينحني،انهم ينقلون الرفيق الامامي ، وبعد ذلك ياتي دوري ، والليل ، والدخان ، والبرد ، والاهتزاز ، والمحطات المقفرة ، كان خائفا . وكان تحت الباب شعاع من نور ، وسمعت ضجة في الطابق الارضي. ها هوذا . وعرفت مشيته في السلم ، فهبط السلام في اعماقها : انه هنا ، تحت سقفنا، اني املكه . ليلة اخرى . الاخيرة . وفتح ماتيو الباب ، ثم اغلقه ، وفتح النافذة فاغلق المصاريع ، وسمعت الماء يجري. سوف ينام . في الطرف المقابل لهذا الجدار ، تحت سقفنا .

قال شارل : ـ هذا دوري ، قولي لهم ان ينقلوك فورا بعدي.

وشد بقوة على يدها ، بينما كان الرجلان ينحنيان عليه فتلقى في وجهه نفسا حمرا .

قال الرجل : ـ هان ! خلفه .

واخذه الخوف فجاة فحرك مرآته بينما كانا يحملانه ، وكان يريد ان يرى اذا كانت تتبعه ، ولكنه لم يلحظ الا كتفي الحمال ورأسه الشبيه براس طير الليل .

وصرخ : ـ كاترين .

فلم يتلق اي جواب . وكان يتارجح فوق العتبة ، وكان الرجل يصدر الاوامر خلفه وانخفض ساقاه فحسب انه يسقط ، وقال :

ـ على مهل ، على مهل .

ولكنه كان قد بدأ يرى النجوم في السماء السوداء، وكان الطقس باردا .

وسال : ـ هل هي تتبعني ؟

فساله الرجل ذو الراس العصفوري :

ـ من هي ؟

ـ جارتي . انها صديقة .

قال الرجل : ـ سنهتم بالنساء فيما بعد . ولن نضعكم في مكان واحد .

فاخذ شارل يرتجف ، وقال :

ـ ولكني كنت اظن ..

ـ ولكنكم لا تريدون على اي حال ان يبلن امامكم ؟

قال شارل : ـ كنت اظن .. كنت اظن ...

وامر يده على جبينه وجعل فجاة يهدر :

ـ كاترين ! كاترين ! كاترين !

وكان يتارجح على اذرعتهما ، وكان يرى النجوم ، وكان مصباح ينبثق في عينيه ، ثم النجوم ، ثم مصباح ، وكان يصيح :

ـ كاترين ! كاترين !

قال الحمال الخلفي : ـ ان هذا مجنون ! هل تراك ستخرس ؟

فقال شارل بصوت تخنقه الدموع :

ـ ولكني لا اعرف حتى اسمها . سوف افقدها الى الابد .

ووضعاه على الارض ، ثم فتحا بابا ، وحملاه من جديد ، فـراى سقفا اصفر كئيبا . وسمع الباب ينغلق ، ووقع في الشرك . وقـال بينما كانوا يضعونه ارضا :

ـ قذرون ! قذرون !

فقال الرجل صاحب الراس العصفوري :

ـ ولكن ، اسمع انت !

قال الاخر : ـ دعه . فانت ترى انه يشتغل من قبعته .

وسمع خطاهما تتلاشى ، وانفتح الباب ثم انغلق . وقال صـوت بلانشار :

ـ عجبا ، كيف نلتقي من جديد

وفي اللحظة نفسها تلقى شارل دفقة من ماء في وجهه ، ولكنـه صمت ، وظل جامدا ، كاليت ، ينظر الى السقف ، وعيناه مفتوحتان على سعتهما ، بينما كان الماء يسيل في اذنيه وعلى عنقه . لم تكـن تريد ان تنام ، وظلت جامدة على ظهرها ، في الغرفة المظلمة ، انه ينام ولن يلبث طويلا حتى يستغرق في النوم ، فاحرسه انا . انه قوي ، انه نقي ، وقد علم هذا الصباح انه ذاهب الى الحرب ، فلم يرتعش حتى جفناه . اما الان ، فهو منزوع السلاح ، سوف ينام ، وهذه هي الليلة الاخيرة . وفكرت : آه ، كم هو خيالي .

كانت غرفة معطرة دافئة ذات اضواء اطلسية وازهار في كل مكان.

قالت :

ـ ادخل .

فدخل غوميز ، ونظر فيما حوله ، فراى دمية على ديوان وفكـر في « توريول » . لقد سبق له ان نام في غرفة شبيهة كل الشبه ، ذات مصابيح ودمى وازهار ، ولكـن بلا عطر ولا سقف . وكان في وسط الارض الخشبية ثقب .

ـ لماذا تبتسم ؟

واقتربت منه :

ـ اذا كانت الغرفة تعجبك ، فبامكانك ان تعود اليها متى شئت .

قال غوميز : ـ اني ذاهب غدا

قالت : ـ غدا ؟ واين انت ذاهب ؟

وكانت تنظر اليه بعينيها الجميلتين اللتين لا تعبر فيهما .

ـ الى اسبانيا .

ـ الى اسبانيا ؟ انك اذن ..

قال : ـ نعم ، انا جندي في ماذونية .

وسالته : ـ ومع اي جانب انت ؟

ـ مع جانب فرانكو ؟

طبعا !

فاحاطت عنقه بذراعيها :

ـ يا جندي الجميل !

وكان لها نفس لذيذ ، فقبلها . وقالت :

ليلة واحدة . ليس هذا بالكثير . التقيت اخيرا برجل يروق لي!

قال : ـ سوف اعود ، حين يكون فرانكو قد ربح الحرب ..

وقبلته مرة اخرى ثم تخلصت بلطف :

ـ انتظرني . ان على الطاولة زجاجتي « جن » وويسكي.

وفتحت باب غرفة التواليت واختفت . وذهب غوميز الى الطاولة فملا قدحا من الجن. كانت الشاحنات تجري ، وكان الزجاج يهـتز ، وافاقت ساره منتفضة ، فجلست على السرير ، وهي تتساءل : « ولكـن كم يبلغ عددها ، انها لا تكاد تنتهي. » شاحنات ثقيلة ، سبق ان طليت للتضليل ، وعلى ظهرها اغطية رمادية وخطوط خضراء وسمراء ، ولا بد انها ملاى بالجنود والاسلحة . وفكرت « انها الحرب » واخذت تبكي. « كاترين ! كاترين ! » لقد بقيت عامين ، وهي جافة العينين ، وحين صعد غوميز الى القطار ، لم تجد دمعة واحدة . اما الان ، فان الدمع يسيل . « كاترين ! كانت الغصات تهزها ، فارتمت على الوسادة ، وكانت تبكي وهي تعضها حتى لا توقظ الصغير . وشرب غوميز جرعة جن فوجده لذيذا . وخطا بضع خطوات في الغرفة ثم جلس على الديوان. وكان يمسك قدحه بيدهوباليد الاخرى قبض على الدمية من رقبتهاواجلسها على ركبتيه ، وكان يسمع ماء صنبور يجري في غرفة التواليت ، فكانت عذوبة ممهودة تصعد في خاصرتيه ، كيدين ملساوين . كـان سعيدا، وشرب ، وفكر : « انني قوي » . وكانت الشاحنات تجري ، والزجاج يهتز، وماء الصنبور يجري، وغوميز يفكر: « انني قوي، وانا احب الحياة واخاطر بحياتي، وانتظر الموت غدا، وفيهذه الساعة ولااخشاهاحب الترف وسوف اجد البؤس والجوع ، اعرف ما اريد ، اعرف لماذا اقاتل ، آمـر فاطاع ، زهدت في كل شيء ، في الرسم والمجد ، وانني لسعيد .» وفكر في ماتيو وقال في نفسه : « انني لاود ان اكون في جلده . وفتحـت الباب ، وكانت عارية في ثوبها الوردي وقالت :

ـ هـانـذي .

قالت : ـ هكذا اذن ! آه ! خراء اذن !

وكانت قد قضت نصف ساعة في غرفة التواليت وهي تغتسل وتتعطر لان البيض لم يكونوا يحبون رائحتها دائما ، واقتربت منه مبتسمة مفتوحة الذراعين ، وكان ينام عاريا في السرير ، ورأسه غارق في الوسادة . فاخذته من كتفه وهزته بغضب ، وقالت بصوت مصفر :

ـ اتريد ان تستيقظ ، ايها الوسخ الصغير ، اتريد ان تستيقظ ؟

ماذا تقرأ هذا الشهر ؟

دار العلم للملايين توفر عليك عناء الاختيار

فتقدم اليك أحدث إنتاجها :

١ ـ عباقرة العلم	للاستاذ جورج سلستي
٢ ـ الاشتراكية والحرب	لادوارد كارديل نائب رئيس جمهورية يوغوسلافيا
٣ ـ الادب العربي في آثار الدارسين	لنخبة من اساتذة الادب العربي في جامعات العالم العربي
٤ ـ الجانب الثقافي من القومية العربية	للاستاذ عبداللطيف شراره
٥ ـ الامـواج	للشاعر احمد الصافي النجفي
٦ ـ لومومبـا	للاستاذ قدري قلعجي
٧ ـ الاصول البرلمانية في لبنان وسائر العالم العربي	للاستاذ انور الخطيب
٨ ـ دفاع عن العروبة (طبعة ثالثة)	للاستاذ ساطع الحصري
٩ ـ آراء روسو الحية	لرومان رولان ترجمة الدكتور زايد
١٠ ـ ولا تزال الشمس تشرق	لارنست همنغواي ، ترجمـة الدكتور بديع حقي
١١ ـ الجنس والاعراق	الدكتور ممدوح حقي

وفتح اجفانه ونظر اليها بعينيه المبهمتين ، وضع القدح على الرف ، والدمية على الديوان فنهض على غير عجل واخذها بين ذراعيه . وكان سعيـــدا .

سأل غرولويس : ــ هل تستطيع ان تقرا هذا ؟

فدفعه العامل : ــ هذه هي المرة الثالثة التي تطرح علي فيها السؤال قلت لك انك ذاهب الى مونبلييه .

ــ وأين هو قطار مونبلييه ؟

ــ انه يتحرك في الساعة الرابعة صباحا ، وهو لم يصل .

فنظر اليه غرولويس في قلق :

ــ ما الذي ينبغي ان اعمله اذن ؟

ــ التصق بقاعة الانتظار ، وخذ لك غفوة حتى الساعة الرابعة ، هل معك تذكرتك ؟

قـال غرولويس : ــ لا .

ــ اذهب اذن فاقطعها ، لا ، ليس من هنا ! آه ! اي حمار صغار : بـل عند النافذة يامجنون .

فاتجه غرولويس الى النافذة . وكان ثمة موظف ذو نظارات يغفـو خلف الزجاج . قال غرولويس : ــ هيه !

فانتفض الموظف ، وقال غرولويس :

ــ اني ذاهب الى مونبلييه .

وكان يبدو الاندهاش على الموظف ، ولا ريب في انه لم يكن قد افاق تماما . ومع ذلك ، فقد انتاب روح غرولويس شك جديد :

ــ هل هي مونبلييه المكتوبة هنا ؟

واراه دفتره العسكري . فقال الموظف :

ــ مونبلييه ، ربع محل ، خمسة عشر فرنكا .

فمد له غرولويس المئة فرنك التي اعطته اياها المراة ، وقال :

ــ والان ، ما الذي ينبغي ان اعمله ؟

ــ اذهب الى قاعة الانتظار .

ــ في اية ساعة يسير القطار ؟

ــ في الساعة الرابعة . الا تعرف القراءة ؟

قال غرولويس : ــ لا .

وتردد في الذهاب وسأل :

ــ أصحيح ان الحرب ستقع ؟

فهز الموظف كتفيه :

ــ ما الذي يدريني ؟ ان هذا غير مكتوب في الدليل ، أليس كذلك ؟

ونهض واتجه نحو داخل الغرفة ،وكان يتظاهر بانه يراجع اوراقا ،ولكنه لم يلبث بعد لحظة ان جلس ، ووضع راسه بين يديه وعاد الى غفوته .

ونظر غرولويس فيما حوله ، وكان يود لو يجد شخصا يدلي له بالمعلومات عن قصص الحرب هذه ، لكن الساحة كانت مقفرة ، فقال : « اذن سأذهب الى قاعة الانتظار » وعبر الساحة وهو يجر قدميه : كان ناعسا، وكانت البيتاه تؤلمانه .

وان فيليب : ــ دعيني انـام .

قالت فلوسي : ــ فيما بعد . بكر ! يجب ان تنتهي منها ، وسوف يسعدني ذلك .

ودفع الباب فدخل القاعة ، وكانت ملأى بالناس الذين ينامون علـى المقاعد وبالحقائب والرزم ملقاة على الارض ، وكان النور حزينا ، وكان باب زجاجي ينفتح في الداخل على ظلام ، واقترب من مقعد فجلس بين امراتين . وكانت احداهما تعرق وتنام فاغرة الفم ، وكان العرق يسيل على وجنتيها ، فيخلف اثارا وردية . اما الاخرى فقد فتحت عينيهـا ونظرت اليه فقال غرولويس شارحا :

ــ لقد دعيت الى الجندية ، ويجب ان اذهب الى مونبلييه .

فابتعدت المراة بحيوية ، ورمته بنظرة مليئة بالتوبيخ . وفكر غرولويس بانها لم تكن تحب الجنود ، ولكنه سألها مع ذلك :

ــ ترى هل ستقع الحرب ؟

فلم تجب : وكانت قد قلبت راسها الى الوراء ، وعادت الى النوم . وكان غرولويس يخشى ان ينام ، وقال : « اذا نمت ، فلن استيقظ ابدا.» ومد ساقيه ، وكان يود لو ياكل شيئا ما صغيرا ، خبزا او مقانق مثلا ، كان مايزال معه مال ، ولكن الوقت كان ليلا ،وجميع الحوانيت كانـت مغلقة . وقال : « ولكن نحن في حرب مع من ؟ » لاريب في ان ذلك كان مع الالمان . وربما كان هذا بسبب الالزاس واللورين . وكان ثمة جريدة ملقاة على الارض ، عند قدميه ، فلمها ثم فكر بالمراة الطيبة التي ضمدت له راسه وقال : اما في الثكنة فانهم يطعمونني . ولكنه لم يكن يحـب الثكنات ، ولا قاعات الانتظار ، واحس دفعة واحدة انه كان حزينا ومفرغا. لقد اسكروه وضربوه ، وهاهم الان يرسلونه الى مونبلييه ، وقال : ياربي! اني لا افهم شيئا من ذلك ، وقال : ذلك لاني لااعرف القراءة ، وجميع هؤلاء الذين ينامون كانوا يعرفونها خيرا منه ، كانوا قد قراوا الجريدة ، وكانوا يعرفون لماذا ستقع الحرب . اما هو ، فقد كان وحيدا في الليل ، وحيدا وصغيرا ، لم يكن يعرف شيئا ، ولم يكن يفهم شيئا ، فكانه كان قادما على الموت . ثم انه أحس بالجريدة تحت اصابعه . كان ذلـك مكتوبا هنا ، لقد كتبوا كل شيء : الحرب ، الطقس غدا ، اسعار الحاجيات مواعيد القطارات . وفتح الجريدة ونظر ، فراى الوفا مـن اللطخات السوداء ، وكانت تشبه ملفات الاراغن البربرية ، مع هذه الثقوب فـي الورق التي تحدث اصواتا حين يدار المحرك . ان من ينظر اليها طويلا يصاب بالدوار . وكان ثمة صورة ايضا : رجل نظيف مسرح الشعـر يضحك ، وترك الجريدة تسقط ، واخذ يبكي .

ترجمة سهيل ادريس